- ٢٦ -

تراجم لبعض مشاهير المفسرين

« ابن عباس »

نسبه وحياته : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى ابن عم رسول الله ﷺ ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، وُلِدَ وبنو هاشم بالشِعْب قبل الهجرة بثلاث - وقيل بخمس - والأول أثبت .

وقد حج عبد الله بن عباس سنة قتل عثمان بأمر منه ، وكان على الميسرة يوم صفين ، وولاه على البصرة ، فلم يزل ابن عباس عليها حتى قُتِل علىّ فاستخلف على البصرة عبد الله بن الحارث ومضى إلى الحجاز ، وتوفى بالطائف سنة خمس وستين - وقيل : سبع : وقيل : ثمان - وهو الصحيح فى قول الجمهور ، قال الواقدى : لا خلاف عند أئمتنا أنه وُلِدَ بالشِعب حين حصرت قريش بنى هاشم ، وأنه كان له عند موت النبى ﷺ ثلاث عشرة سنة .

منزلته وعلمه : وابن عباس ترجمان القرآن ، وحَبْر الأمة ، ورئيس المفسِّرين ، فقد أخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن مسعود قال : « نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس » ، وأخرج أبو نعيم عن مجاهد قال : « كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه » ، وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن يحيى بن سعيد الأنصارى : « لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة : مات حَبْر هذه الأمة ، ولعل الله أن يجعل فى ابن عباس خَلَفًا » .

وقد أحرز ابن عباس منزلته بين كبار الصحابة على صغر سنه بعلمه وفهمه تحقيقًا لدعوة رسول الله ﷺ ، ففى الصحيح عنه أن النبى ﷺ ضمَّه إليه وقال : « اللَّهُمَّ علِّمه الحكمة » ، وفى معجم البغوى ، وغيره عن عمر أنه كان يقرِّب ابن عباس ويقول : « إنى رأيتُ رسول الله ﷺ دعاك فمسح رأسك ، وتفل فى فِيك » ، وقال : « اللَّهُمَّ فقهه فى الدين ، وعلِّمه التأويل » ، وأخرج البخارى من طريق سعيد

ابن جبير ، عن ابن عباس قال : كان عمر يُدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وَجَدَ فى نفسه ، فقال : لِمَ يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه مَن علمتم ، فدعاهم ذات يوم فأدخلنى معهم ، فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون فى قول الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ ﴾ (١) ؟ فقال بعضهم : أُمِرْنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا ، فقال لى : أكذلك تقول يابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ ﴾ فذلك علامة أجلك ، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٢) فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول » .

تفسيره : وقد ورد عن ابن عباس فى التفسير ما لا يُحصى كثرة ، وجُمِعَ ما نُقِلَ عنه فى تفسير مختصر ممزوج يسمى « تفسير ابن عباس » وفيه روايات وطرق مختلفة ، ولكن أحسن الطرق عنه طريق علىّ بن أبى طلحة الهاشمى عنه ، واعتمد على هذه البخارى فى « صحيحه » ، ومن جيد الطرق طريق قيس بن مسلم الكوفى عن عطاء بن السائب .

وفى التفاسير الطوال التى أسندوها إلى ابن عباس مجاهيل ، وأوهى طرقه طريق الكلبى عن أبى صالح ، والكلبى هو أبو النصر محمد بن السائب المتوفى سنة ١٤٦ هـ ، فإن انضم إليه رواية محمد بن مروان السدى الصغير المتوفى سنة ١٨٦ هـ فهى سلسلة الكذب ، وكذلك طريق مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدى ، إلا أن الكلبى يفضل عليه لما فى مقاتل من المذاهب الرديئة . .

وطريق الضحَّاك بن مزاحم الكوفى عن ابن عباس منقطعة ، فإنه لم يلق ابن عباس ، وإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة فضعيفة لضعف بِشر ، وإن كان من رواية جويبر عن الضحَّاك فأشد ضعفًا ، لأن جويبرًا شديد الضعف متروك .

وطريق العوفى عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم كثيرًا ، والعوفى ضعيف ليس بواه ، وربما حسَّن له الترمذى .

---

(١) النصر : ١ (٢) النصر : ٣

وبهذا يستطيع القارئ أن ينقِّب عن الطرق ويعرف منها الجيد المقبول من الضعيف أو المتروك ، فليس كل ما رُوِى عن ابن عباس بالصحيح الثابت ، وقد ذكرنا مزيدًا من التفصيل عن ذلك عند الكلام عن تفسيره .

* * *

مجاهد بن جبر

نسبه وحياته : هو مجاهد بن جبر المكى أبو الحجاج المخزومى المقرئ ، مولى السائب بن أبى السائب ، روى عن علىّ ، وسعد بن أبى وقاص ، والعبادلة الأربعة ، ورافع بن خديج ، وعائشة ، وأم سلمة ، وأبى هريرة ، وسراقة بن مالك ، وعبد الله بن السائب المخزومى ، وخلق كثير ، وروى عنه عطاء ، وعكرمة ، وعمرو بن دينار ، وقتادة ، وسليمان الأحول ، وسليمان الأعمش ، وعبد الله بن كثير القارئ ، وآخرون ، وكان مولده سنة ٢١ هـ (إحدى وعشرين) فى خلافة عمر ، ومات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة ، وقال يحيى القطَّان : مات سنة ١٠٤ هـ (أربع ومائة) .

منزلته : ومجاهد رأس المفسرين من طبقة التابعين حتى قيل إنه كان أعلمهم بالتفسير ، وقد أخذ تفسيره عن ابن عباس ثلاثين مرة ، وعنه أيضاً قال : عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، أقف عند كل آية وأسأله عنها ، فِيمَ نزلت ، وكيف كانت ؟ وقال الثورى : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، قال ابن تيمية : ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعى والبخارى ، وغيرهما من أهل العلم .

وقال أبو حاتم : مجاهد لم يسمع عن عائشة ، حديثه عنها مرسل ، وقال : مجاهد عن سعد ومعاوية وكعب بن عجرة مرسل ، وقال أبو نعيم : قال يحيى القطَّان : مرسلات مجاهد أحبُّ إلىّ من مرسلات عطاء ، وقال قتادة : أعلم مَن بقى بالتفسير مجاهد ، وقال ابن سعد : كان ثقة فقيهًا عالمًا كثير الحديث ، وقال ابن حبان : كان فقيهًا ورعًا عابدًا متقنًا ، وقال الذهبى فى آخر ترجمته : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ، وقال : قرأ عليه عبد الله بن كثير .

وإذا كان الثورى يقول : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، فليس معنى هذا أن نأخذ كل ما نُسِبَ إلى مجاهد ، فإن مجاهداً كغيره من الرواة الذين نُقِلَ عنهم ، وقد يكون من النقلة عنه الضعيف الذى لا يوثق به ، فلا بد من التحرى وثبوت سلامة السند ، شأنه فى ذلك شأن ابن عباس فيما رُوِىَ عنه .

* * *

الطبرى

نسبه وحياته : هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير أبو جعفر الطبرى ، الآملى الأصل ، البغدادى المولد والوفاة - ولد سنة ٢٢٤ هـ (أربع وعشرين ومائتين) ، وتوفى سنة ٣١٠ هـ (عشر وثلاثمائة) ، وكان عالمًا فَذا كثير الرواية ذا بصيرة بالنقل والترجيح بين الروايات ، وله باع طويل فى تاريخ الرجال وأخبار الأمم .

تصانيفه : صنَّف ابن جرير من الكتب : جامع البيان فى تفسير القرآن ، وتاريخ الأمم والملوك وأخبارهم ، والآداب الحميدة والأخلاق النفيسة ، وتاريخ الرجال ، واختلاف الفقهاء ، وتهذيب الآثار ، وكتاب البسيط فى الفقه ، والجامع فى القراءات ، وكتاب التبصير فى الأصول .

تفسيره : وكتابه فى التفسير « جامع البيان فى تفسير القرآن » أجَلُّ التفاسير وأعظمها ، وهو المرجع الأصيل للمفسِّرين بالأثر ، وابن جرير يورد التفسير مسنَدًا إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم ، ويتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض ، وقد أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلِّف فى التفسير مثله ، قال النووى فى « تهذيبه » : كتاب ابن جرير فى التفسير لم يُصنِّف أحد مثله ، ويمتاز ابن جرير بالاستنباط الرائع ، والإشارة إلى ما خَفِىَ فى الإعراب ، وبذلك كان تفسيره فوق أقرانه من التفاسير ، وأكثر ما ينقل ابن كثير عن ابن جرير .

* * *

ابن كثير

نسبه وحياته : هو إسماعيل بن عمر القرشى ابن كثير البصرى ، ثم الدمشقى ، عماد الدين أبو الفداء الحافظ المُحَدِّث الشافعى .

ولد سنة ٧٠٥ هـ (خمس وسبعمائة) ، وتوفى سنة ٧٧٤هـ (أربع وسبعين وسبعمائة) ، بعد حياة زاخرة بالعلم ، فقد كان فقيهًا متقنًا ، ومُحَدِّثًا بارعًا ، ومؤرخًا ماهرًا ، ومفسِّرًا ضابطًا ، قال فيه الحافظ ابن حجر : « إنه كان من مُحَدِّثى الفقهاء » ، وقال : « سارت تصانيفه فى البلاد فى حياته ، وانْتُفِعَ بها بعد وفاته » .

تصانيفه : ومن تصانيفه : البداية والنهاية فى التاريخ ، وهو من أهم المراجع للمؤرخين ، والكواكب الدرارى فى التاريخ ، انتخبه من البداية والنهاية ، وتفسير القرآن ، والاجتهاد فى طلب الجهاد ، وجامع المسانيد ، والسنن الهادى لأقوم سنن ، والواضح النفيس فى مناقب الإمام محمد بن إدريس .

تفسيره : قال فيه السيد محمد رشيد رضا : « هذا التفسير من أشهر كتب التفسير فى العناية بما رُوِىَ عن مفسرى السَلَف ، وبيان معانى الآيات وأحكامها ، وتحامى ما أطال به الكثيرون من مباحث الإعراب ونكت فنون البلاغة ، أو الاستطراد لعلوم أخرى لا يُحتاج إليها فى فهم القرآن ، ولا التفقه فيه ، ولا الاتعاظ به .

ومن مزاياه العناية بما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن ، فهو أكثر ما عرفنا من كتب التفسير سردًا للآيات المتناسبة فى المعنى ، ويلى ذلك فيه الأحاديث المرفوعة التى تتعلق بالآية وبيان ما يُحتج به منها ، ويليها آثار الصحابة وأقوال التابعين ومَن بعدهم من علماء السَلَف .

ومنها تذكيره بما فى التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات وتحذيره منها بالإجمال ، وبيانه لبعض منكراتها بالتعيين ، ويا ليته استقصى ذلك أو ترك إيراد ما لم تتوفر فيه داعية التمحيص والتحقيق » ا . هـ .

* * *

فخر الدين الرازى

نسبه وحياته : هو محمد بن عمر بن الحسن التميمى البكرى الطبرستانى الرازى فخر الدين المعروف بابن الخطيب الشافعى الفقيه .

ولد بالرى سنة ٥٤٣ هـ (ثلاث وأربعين وخمسمائة) ، وتوفى بهراة سنة ٦٠٦هـ (ست وستمائة) - ودرس العلوم الدينية والعلوم العقلية ، فتعمق فى

المنطق والفلسفة ، وبرز فى علم الكلام ، وله فى هذا كله الكتب والشروح والتعليقات ، حتى عدوه من فلاسفة عصره ، ولا تزال كتبه مراجع هامة لمن يسمونهم بالفلاسفة الإسلاميين .

تصانيفه : ولفخر الدين الرازى تصانيف كثيرة ، منها : مفاتيح الغيب فى تفسير القرآن ، وتفسيره أسرار التنزيل وأنوار التأويل ، وإحكام الأحكام ، والمحصل فى أصول الفقه ، والبرهان فى قراءة القرآن ، ودرة التنزيل وغرة التأويل فى الآيات المتشابهات ، وشرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا ، وإبطال القياس ، وشرح القانون لابن سينا ، والبيان والبرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان ، وتعجيز الفلاسفة ، ورسالة الجوهر ، ورسالة الحدوث ، وكتاب الملل والنحل ، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين فى علم الكلام ، وشرح المفصّل للزمخشرى .

تفسيره : وقد أثرت العلوم العقلية على الرازى فى تفسيره ، فمزجه بخليط من الطب والمنطق والفلسفة والحكمة ، وخرج به عن معانى القرآن وروح آياته ، وحَمَّل نصوص الكتاب ما لم تنزل له من مسائل العلوم العقلية واصطلاحاتها العلمية ، ففقد كتابه بهذا روحانية التفسير وهداية الإسلام ، ولذلك قال بعض العلماء : « فيه كل شىء إلا التفسير » كما ذكرنا آنفًا .

* * *

الزمخشرى

نسبه وحياته : هو أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمى الزمخشرى - وُلِدَ فى السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٤٦٧ هـ (سبع وستين وأربعمائة) بزمخشر ، وهى قرية كبيرة من قرى خوارزم ، وتلقى العلم فى بلاده ، ورحل إلى بخارى فى طلبه ، وأخذ الأدب عن شيخه منصور أبى مضر ، ثم رحل إلى مكة وجاوَر بها زمانًا ، فقيل له : « جار الله » وبها ألَّف كتابه فى التفسير « الكشاف فى حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل » وتوفى الزمخشرى سنة ٥٣٨ هـ (ثمان وثلاثين وخمسمائة) ، بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة ، ورثاه بعضهم بأبيات منها :

فأرض مكة تذرى الدمع مقلتها ... حزنًا لفُرقة جار الله محمود

علمه ومؤلفاته : والزمخشرى إمام من أئمة اللُّغة والمعانى والبيان ، وكثيراً ما يجد القارئ فى كتب النحو والبلاغة استشهادات له من كتبه للاحتجاج بها ، فيقولون : قال الزمخشرى فى كشافه ، أو فى أساس البلاغة ، وهو صاحب رأى وحُجة فى كثير من مسائل العربية ، وليس من هؤلاء النفر الذين ينهجون نهج غيرهم فيجمعون وينقلون ، ولكنه صاحب رأى يقتفى غيره أثره وينقل عنه ، وله تصانيف فى الحديث والتفسير والنحو واللُّغة والمعانى والبيان وغير ذلك ؛ منها : كتابه فى تفسير القرآن « الكشاف » ، والفائق فى تفسير الحديث ، والمنهاج فى الأصول ، والمفصَّل فى النحو ، وأساس البلاغة فى اللُّغة ، ورؤوس المسائل الفقهية .

مذهبه وعقيدته : والزمخشرى حنفى المذهب ، معتزلى العقيدة ، يُؤوِّل الآيات وفق مذهبه وعقيدته بلحن لا يدركه إلا الخاصة ، ويسمى المعتزلة : إخوانه فى الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية .

تفسيره : وكتاب الكشاف للزمخشرى من أشهر كتب المفسِّرين بالرأى ، الماهرين فى اللُّغة ، وينقل عنه الآلوسى ، وأبو السعود ، والنسفى ، وغيرهم من المفسرين بدون نسبة إليه ، واعتزالياته فى التفسير قد تولى التنقيب عنها العلامة أحمد المنير ، وسماها بالانتصاف ، وفيها يناقش الزمخشرى فيما أورده من العقائد على مذهب المعتزلة ويورد ما يقابلها ، كما يناقشه فى كثير من أبواب اللُّغة ، وقد طبعت المكتبة التجارية بمصر « الكشاف » طبعة أخيرة رتبها مصطفى حسين أحمد ، وذُيِّلَت بأربعة كتب ، الأول : « الانتصاف » السابق ، والثانى « الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف » للحافظ ابن حجر العسقلانى ، والثالث : « حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقى على تفسير الكشاف » كـ « الانتصاف » ، والرابع : « مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف » للمرزوقى المذكور - وقد ضمَّن تفسيره كثيراً من عقائد المعتزلة على طريق الإشارة ، وقد ذكرنا قبل ما نُقِلَ عن البلقينى أنه قال : استخرجتُ من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش .

* * *

الشوكانى

نسبه وحياته : هو القاضى محمد بن علىّ بن عبد الله الشوكانى ثم الصنعانى الإمام المجتهد ، ناصر السُّنَّة ، وقامع البدعة .

وُلِدَ سنة ١١٧٣ هـ (ثلاث وسبعين ومائة وألف) فى بلدة هجرة شوكان ، ونشأ بصنعاء ، فقرأ القرآن ، وأخذ يطلب العلم ، ويسمع من العلماء الأعلام ، وحفظ كثيراً من متون النحو والصرف والبلاغة ، والأصول وآداب البحث والمناظرة ، حتى صار إمامًا يُشار إليه بالبنان ، وظل مكبًا على العلم قراءة وتدريسًا إلى أن توفى سنة ١٢٥٠ هـ (خمسين ومائتين وألف) .

مذهبه وعقيدته : تفقه على مذهب الإمام زيد ، وبرعه فيه ، وألَّف وأفتى ، وطلب الحديث ، وفاق فيه أهل زمانه حتى خلع ربقة التقليد ، وصار مناصرًا للسُّنَّة ومناوئًا لأعدائها ، وكان يرى تحريم التقليد حتى ألَّف فى ذلك رسالة أسماها « القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد » .

مؤلفاته : له مؤلفات عديدة فى شتى الفنون منها تفسيره « فتح القدير » وشرحه « نيل الأوطار على منتقى الأخبار » للمجد ابن تيمية جد شيخ الإسلام ، وهو من خير ما كُتبَ فى الحديث على أبواب الفقه ، وكتابه فى الأصول « إرشاد الفحول » وفتاواه المسماة بـ « الفتح الربانى » .

تفسيره : وفتح القدير للشوكانى تفسير يجمع بين الرواية والاستنباط وفقه نصوص الآيات ، اعتمد فيه على فحول المفسرين كالنحاس ، وابن عطية ، والقرطبى ، وهو متداولَ فى جهات كثيرة من أنحاء العالم الإسلامى .

وصلى الله على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

المراجـــع

١ - الإتقان فى علوم القرآن - للسيوطى .

٢ - الإصابة فى تمييز الصحابة - لابن حجر العسقلانى .

٣ - الأعلام - لخير الدين الزركلى .

٤ - إعجاز القرآن - للباقلانى .

٥ - البرهان فى علوم القرآن - للزركشى .

٦ - تفسير الطبرى « جامع البيان » - لابن جرير .

٧ - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير .

٨ - الكشَّاف - للزمخشرى .

٩ - التفسير والمفسرون - لمحمد حسين الذهبى .

١٠ - تهذيب التهذيب - لابن حجر العسقلانى .

١١ - رسالة التوحيد - لمحمد عبده .

١٢ - الرد على المنطقيين - لابن تيمية .

١٣ - التدمرية - لابن تيمية .

١٤ - اقتضاء الصراط المستقيم - لابن تيمية .

١٥ - الإكليل فى التشابه والتأويل - لابن تيمية .

١٦ - العقل والنقل - لابن تيمية .

١٧ - أعلام الموقعين - لابن القيم .

١٨ - أقسام القرآن - لابن القيم .

١٩ - إعجاز القرآن - لمصطفى صادق الرافعى .

٢٠ - الوحى المحمدى - للسيد محمد رشيد رضا .

obeikandl.com

٢١ - القاموس المحيط - للفيروزآبادى .
٢٢ - مفردات غريب القرآن - للراغب الأصبهانى .
٢٣ - روضة الناظر - لابن قدامة .
٢٤ - فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت - لابن عبد الشكور .
٢٥ - المستصفى - للغزالى .
٢٦ - مناهل العرفان - للزرقانى .
٢٧ - مباحث فى علوم القرآن - لصبحى الصالح .
٢٨ - النبأ العظيم - لمحمد عبد الله دراز .
٢٩ - منهج الفرقان فى علوم القرآن - لمحمد على سلامة .
٣٠ - بلاغة القرآن - لمحمد الخضر حسين .
٣١ - مقدمة فى أصول التفسير - لابن تيمية .
٣٢ - كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون - لحاجى خليفة .
٣٣ - هدية العارفين - لإسماعيل البغدادى .
٣٤ - فى ظلال القرآن - لسيد قطب .
٣٥ - الفلسفة القرآنية - للعقاد .
٣٦ - رياض الصالحين - للنووى .
٣٧ - مقدمة ابن خلدون - لابن خلدون .
٣٨ - الأحكام - للآمدى .

* * *

obeikandl.com